مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

التنوع العرقي والمذهبي في الخليج بين الواقع والتوظيف

الكتـــاب الثالث والتسعون – سبتمبر (أيلول) 2014
كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

موقف إخوان الخليج من الأقليات (السعودية أنموذجاً)

عبدالله الرشيد(*)

في التاسع والعشرين من يونيو(حزيران) العام 2003 أصدر الشيخ سفر الحوالي –أحد أبرز رموز التيار السروري في السعودية– بياناً يرد فيه على مطالب تقدمت بها شخصيات من الطائفة الشيعية[1] بالسعودية إلى ولي العهد آنذاك الأمير عبدالله بن عبدالعزيز. بيان الطائفة الشيعية في مجمله يطالب الحكومة بالاعتراف الصريح بالمذاهب الإسلامية بما فيها المذهب الشيعي، والتدخل لإزالة مفردات في مناهج التعليم تكفر الشيعة أو تحكم على عقائدها، والسماح بإنشاء معاهد تعليمية ومحاكم خاصة بالطائفة الشيعية بالسعودية.

(*) أكاديمي سعودي مختص في الدراسات الإسلامية.

(1) بيان مطالب تقدم بها 450 شخصا من أبناء الطائفة الشيعية في السعودية في 30 أبريل (نيسان) 2003 تضمن مطالب بالاعتراف بالمذهب الشيعي، والتمثيل في وزارة الأوقاف، والسماح بإنشاء معاهد دينية ومحاكم خاصة.

جاء رد الحوالي معبراً عن رؤية التيار السروري في الخليج عموماً -وهو المنبثق من فكر الإخوان المسلمين- عن الموقف من الأقليات والمذاهب الدينية داخل الدولة الواحدة، سواء كانت هذه الأقلية من داخل الدائرة الإسلامية كالشيعة، أم كالأقليات الدينية الأخرى.

يؤكد الحوالي أن مطالب الشيعة في السعودية تعبير صريح عن «استبداد الأقلية بحكم الأكثرية مثلما حدث للمعتزلة حين فرضوا على الأمة عقيدة القول بخلق القرآن، ومثل بعض الدول الأفريقية التي يحكمها النصارى مع أن المسلمين فيها 95٪ أو أكثر. فمطالبة أي طائفة بحرية العبادة شيء ومطالبتها بالتحكم في عقائد الأمة كلها شيء مختلف تماماً»[2].

يقرر الحوالي أن الموقف من عقيدة الأقلية ومذهبها أمر متروك لها، لكن هذا لا يخولها أن تتجاوز وتنشر عقيدتها أو تطالب بحمايتها، يقول: «في هذه البلاد يولد الشيعي ويموت شيعياً من دون أن يحاسبه أحد على ذلك، وهذه هي حدود حرية الاعتقاد، أما ما يعتقده أهل السنة في الشيعة وغيرهم، وما يجب عليهم من بيان الحق ودعوة الأمة إلى العقيدة الصحيحة، وتربية أبنائهم عليها في مناهجهم وغيرها، فهذا واجب ديني على أهل السنة لا يحق للشيعة ولا غيرهم المطالبة بإسقاطه، ولا يجوز للحكومة الاستجابة له، وإلا فقدت شرعيتها ووقعت في ظلم الأكثرية لمصلحة الأقلية، وناقضت دستور البلاد ومفهوم الحرية نفسه»[3].

وفقاً لرأي الحوالي فإن «هذا ما وعته الدول المعاصرة في العالم الإسلامي وغيره، والأمثلة على هذا كثيرة؛ فطائفة (شهود يهوه) مثلاً تطالب بحقوقها في البلاد الكاثوليكية، لكن غاية ما تطلبه هو السماح لها بأداء شعائرها وطبع منشوراتها، أما أن تطالب الكاثوليك بألاّ يتحدثوا عن عقائدها ولا يطبعوا منشوراتهم المخالفة

(2) سفر الحوالي، حين تتحكم الأقلية في الأكثرية، موقع المسلم، 12 مايو (أيار) 2003. على الرابط التالي:
http://www.almoslim.net/node/81993

(3) المرجع نفسه.

لعقائدها، فهذا ما لم تحلم به ولم تطالب به»[4].

يشير الحوالي إلى أنه في دول العالم الإسلامي أقليات بوذية وغيرها لم «تصل بها المطالبة إلى حد إلغاء العلوم الشرعية، وحذف المواد التي تدل على كفرهم وفساد دينهم من المناهج والمدارس الإسلامية، ولم يشترطوا أن يكون لهم في كل مؤسسة حكومية وزير أو مسؤول، فالكل هناك يحترم دستور البلاد ويقبل نتيجة الاقتراع، ونحن هنا في بلادنا دستورنا الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، ولا نحتاج إلى صناديق أصلاً لإثبات أن الشيعة أقلية ضئيلة، وأن مطالبها هو أن تتحكم في الأكثرية السنية»[5].

يبدو الموقف العقائدي هو المحدد الأبرز في طريقة تعاطي الحوالي في بيان الموقف من الأقليات والطوائف داخل الدولة، فبحسب رأيه أصبحنا «نمسخ العقيدة باسم الوحدة الوطنية»، يقول: «إنه لمن التحايل الواضح التذرع بدعوى الوحدة الوطنية لمسخ عقيدة البلاد وزلزلة كيانها في الوقت الذي يشتهر فيه أن أهم شروط المواطنَة الالتزام بالدستور، والمطالبة بمخالفة الدستور، فضلاً عن المطالبة بتغييره هي خروج على واجب المواطنة في كل بلاد العالم، لا سيما إذا صدرت من فئة قليلة تريد أن تضطهد الأكثرية وتقيد حريتها في العمل السياسي، بل في التعبير والاعتقاد»[6].

الإخوان المسلمون والأقليات الدينية.. رؤية شاملة

لا يخفى تأثر حركة الإخوان المسلمين المصرية في الخليج العربي بفئاتها وأطيافها كافة بطبيعة المنطقة؛ التي تعمل فيها وتنشط، ففي السعودية على وجه التحديد كان المزج بارزاً بين المكوِّن العقائدي الذي استقى منهجه من تأسيس الشيخين ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب وغيرهما من الرموز السلفية، إضافة إلى المكوِّن الحركي الذي يستلهم تجارب وتاريخ حركة الإخوان المسلمين في مصر وغيرها

(4) المرجع نفسه.

(5) المرجع نفسه.

(6) المرجع نفسه.

من دول العالم العربي.

ولأن حركة الإخوان المسلمين باعتبارها إطاراً عاماً شاملاً يسعى إلى هدف كلي هو إعادة الحضور والحكم للهوية الإسلامية، عبر الهدف النهائي «أستاذية العالم» أو بعث «الخلافة الإسلامية»، فإن الوصول إلى تحقيق هذا الهدف الكبير احتوى بين طياته أطيافاً متعددة تتراوح في مواقفها ما بين المتشدد والمتسامح، في فئات تتباين بين اليسار واليمين والوسط، بما في ذلك الموقف من الأقليات الدينية والمذهبية في العالم الإسلامي.

منذ وقت مبكر وضع حسن البنا مقولته الشهيرة التي أصبحت رمزاً يمثل الميكافيلية والتسامح التكتيكي، هذه المقولة هي «نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»[7]. تقوم هذه القاعدة على نظرية «التجميع» حتى لا تكون الاختلافات العقائدية أو الفكرية عائقاً أمام توسع الحركة وانتشارها وتغلغلها في فئات متعددة، ولأن النظرية السياسية كانت حاضرة عند حسن البنا، فكان يقرر أن الاختلافات الدينية أمر واقع لا محالة، ولا يجب أن تعيق المشروع السياسي الكبير، وتقف أمام تحقيق الهدف الحركي، ووفقاً لهذا الأساس فإن حركة الإخوان قد لا تمانع في انضمام أي شخص للعمل معها ما دام يؤمن بالأهداف المرحلية أو النهائية للحركة، بغض النظر عن مذهبه أو عقيدته أو حتى سلوكه، وهذا ما يفسر التسامح السلوكي عند جماعة الإخوان المسلمين مقارنة بتيارات إسلامية أخرى.

وبناءً على هذا المنطق ليس مستغرباً حين تجد رفيق حبيب –وهو مسيحي مصري– يصبح نائباً لرئيس حزب الحرية والعدالة –الذراع السياسية لجماعة الإخوان المسلمين– ما دام أنه مؤمن بالمشروع السياسي للحركة فيمكن غض الطرف عن دينه أو معتقده.

يبرز هذا الاتجاه في أطروحات الإخوان كثيراً لطمأنة الناخب أو المراقب لموقف

(7) انظر: مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، (دعوتنا)، موقفنا أمام الخلافات الدينية، ص 27–29. دار الدعوة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1998.

الحركة من الأقليات الدينية؛ وأنها لا تمانع في مشاركتها العمل والسياسة، في حين أن مجرد اختيار شخصيات من الأقليات لدعم مشروع الحركة هو أشبه بدعاية انتخابية؛ ولا يعكس حقيقة الموقف من الأقليات وطبيعة التصور تجاه المذاهب الدينية أو العقائدية، الذي ينبثق في مجمله من تصورات وأحكام تراثية.

يقول حسن البنا في تأصليه للموقف من الأقليات في رسالته «نحو النور»: «يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساساً لنظام الحياة ينافي وجود الأقليات غير المسلمة، وينافي الوحدة بين عناصر الأمة، ولكن الحق غير ذلك تماماً، فالنص الصريح الواضح لا يحتمل لبساً ولا غموضاً في حماية الأقليات «لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم» (سورة الممتحنة 8)[8]. يؤكد البنا أن معيار حماية الأقليات هو أن يكونوا مستقيمين لسلطة الأكثرية ومخلصين، فإن صدر منهم عكس ذلك وفسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم، فإن التعامل معهم يكون وفق هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر» (آل عمران 118)[9].

يستشهد البنا في تحديد موقف حركته بنصوص وآيات قرآنية عامة ذات تفسيرات مفتوحة؛ لكنها في المؤدى تجعل الأقلية -أياً كان دينها- محكومة بثقافة وبمرجعية الحركة الإسلامية، وليس بمرجعية الدولة أو القانون، ولذلك يفسر -بشكل أكثر- الإخواني يوسف القرضاوي في بيان موقف الإخوان من الأقليات حين قرر بأن الخير للمسيحيين (في مصر) أن يُحكموا بحكم الإسلام، فـ«المسيحي الذى يفهم دينه ويحرص عليه حقيقة ينبغي أن يرحب بحكم الإسلام، لأنه حكم يقوم على الإيمان بالله ورسالات السماء، كما يقوم على تثبيت القيم الإيمانية والمثل الأخلاقية التي دعا إليها الأنبياء جميعاً، ثم هو يحترم المسيح وأمه والإنجيل، وينظر إلى أهل الكتاب نظرة خاصة، فكيف يكون هذا الحكم مصدر خوف وإزعاج لصاحب

(8) مجموعة رسائل حسن البنا، ص 78-79.

(9) المرجع نفسه.

دين يؤمن بالله ورسله واليوم الآخر؟ في حين لا يزعجه حكم ديني علماني يحتقر الأديان جميعا ولا يسمح بوجودها، وإن سمح فلا يكون إلا في ركن ضيق من أركان الحياة؟!»[10].

يحاول القرضاوي أن يستميل عاطفة الأقليات الدينية لقبول حكم الحركة الإسلامية، إن وصلت للسلطة، من أجل توحيد الجهود نحو عدو أكبر، قائلاً: «وقد رحب العقلاء واسعو الأفق من المسيحيين بالنظام الإسلامي بوصفه السد المنيع في وجه تيار الإلحاد الذي يهدد الديانات كلها»[11].

محمد سرور ينفصل عن الإخوان بسبب الموقف من الأقليات

موقف حركة الإخوان (الأم) من الأقليات الدينية والمذاهب داخل الدائرة الإسلامية، كان محل جدل واختلاف، وانفصال وانشقاق أيضاً، فسياسة حسن البنا التي تقوم على التجميع الحركي وتغض النظر عن الفروقات العقائدية ما داموا جميعاً يدينون بالولاء للجماعة والمرشد، كانت سبباً في انشقاق أحد أبناء الجماعة في سوريا، وتأسيسه لمنظور جديد يقوم على المواءمة بين العقيدة السلفية والآلية الحركية، لكن خروجه كان غاضباً كما يروي في مذكراته.

كتب الحركي السوري البارز محمد سرور زين العابدين، الذي إليه تنسب حركة السرورية، في مجلة «السنة»، التي كان يصدرها من لندن مقالاً بعنوان «صفحات من الماضي»، يشرح فيه ظروف وعوامل انشقاقه عن جماعة الإخوان المسلمين، يقول فيه: «بعد رحلة في هذه الجماعة استمرت عشرة أعوام هيأ الله لي أجواء علمت من خلالها أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون من خلال عقيدة ومنهج السلف الصالح، ولم تكن الجماعة التي انتسبت إليها كذلك، وكنت أحاول التوفيق بين قناعتي الجديدة

(10) يوسف، القرضاوي، الإخوان والأقليات الدينية، الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين. على الرابط التالي:
http://www.ikhwanwiki.com

(11) المرجع نفسه.

ووضعي في هذه الجماعة، ولكن هيهات، فالمسافة بعيدة، والخرق يتسع. صحيح أن الجماعة في المنطقة التي أقيم فيها ليس فيها أشاعرة أو متصوفة أو معتزلة، ولكن هذا الصنف موجود في مناطق أخرى، وبينهم مسؤولون من كبار أهل الحل والعقد في إطار بلاد الشام، أو في إطار البلدان العربية، وهؤلاء عند منتسبي الجماعة ثقات، وغير مسموح بنقدهم أو تجريحهم، لأن الأصل في توثيقهم انتماؤهم لهذه الجماعة، وليس الأصل مناهجهم وتصوراتهم التي يدعون إليها»[12]. ومعلوم أن السرورية بدأت وتشكلت في السعودية، إبان عمل الشيخ سرور فيها منذ مطلع السبعينيات الميلادية، وأثرت في مجموعة ممن أصبحوا فيما بعد رموزاً لحركة الصحوة في السعودية كسلمان العودة، ناصر العمر، وسفر الحوالي وغيرهم.

يتضايق محمد سرور من عدم التفريق بين المنتمين للجماعة بناء على العقيدة، فيقول: «هذا العمل الحزبي يجعل الفرد المنتمي إلى هذه الجماعة يشعر بأن فلاناً الصوفي أقرب إليه مرات ومرات من فلان السلفي لسبب بسيط جداً، فالأول من الجماعة، والثاني مستقل، ولا ينتمي لأية جماعة. لقد سئمت من سياسة التجميع على أساس غير سليم، وصرت أعتقد فشل سياسة وتخطيط هذا الخليط من الخلائق، وإن زعموا أنهم من النصر قاب قوسين أو أدنى، وملت من ترداد من حولي: «ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»... كيف يعذر بعضنا بعضاً في اختلاف التضاد؟!، وهذا الإعذار يعني أنه لا فرق يستحق الذكر بين السلفيين وأهل الاعتزال وغيرهم من أهل البدع والخرافات، فأيقنت أنه لا يجوز لمثلي الاستمرار في هذه الجماعة»[13].

يشرح سرور الموقف الذي اتخذه التيار السروري في التعاطي مع الأقليات، من خلال تأكيد أن الحركة تمثل «منهج الإسلام الصحيح»، وهي راية «أهل السنة والجماعة»، وما عداها ففي عقيدته لبس ودخن، يقول: «بعد انفصالي عن الجماعة الأولى، وضعت لنفسي ثوابت ومنطلقات محددة لا أحيد عنها، ولا أستبدلها بغيرها، وها قد مضى على مسيرتي في الطريق الجديد أكثر من عشرين عاماً، ومرور هذه

(12) محمد، سرور نايف زين العابدين، (مجلة السنة) العدد السابع والعشرون، جمادى الآخرة 1413هـ، ديسمبر (كانون الأول) 1992.
(13) المرجع نفسه.

الأيام زادني قناعة واستمساكاً بهذه الثوابت والمنطلقات، فالتطبيق أثبت أصالتها، والتجارب أثبتت صحتها، ومن أهم هذه الثوابت والمنطلقات ما يلي:

أولاً: أصبح الأصل عندي الالتزام بعقيدة ومنهج السلف الصالح، وهذه مسألة لا مجال للمساومة عليها، فمن كان هذا هو اعتقاده في أصول الدين وفروعه، فهو أخي، ومن أقرب الناس إلي، ولا يهمنا بعد ذلك لون بشرته، أو اسم الجماعة التي ينتسب إليها، أو بعد الديار بيننا وبينه.

ثانياً: لم يعد العمل الإسلامي عندي: «دعوة سلفية، وحقيقة صوفية، لأن مثل هذا الخليط لا يصلح أساساً لوحدة العمل الإسلامي، ولا يؤدي إلا إلى الخصومة والفرقة والتناحر، لأن الصوفية شذوذ وانحراف عن المنهج الحق الذي آمنا به وعضضنا عليه بنواجذنا... ولم يعد عقلي يتصور وجود جماعة واحدة، فيها: السلفي، والصوفي، والأشعري، والخارجي، ودعاة الاعتزال والعقلانية، وغير ذلك من العقائد والاتجاهات المختلفة المتباينة... وأدركت أن الكم الكبير ليس دليلاً على نجاح العمل الإسلامي، وأن سياسة التجميع سياسة فاشلة إذا أهمل الدعاة سلامة التصورات، ووحدة الثوابت والمنطلقات»[14].

الأقليات... سموم في جسد الأمة!

بناءً على هذا المنهج العقائدي/ الحركي صدرت العديد من المؤلفات التي توظف التصورات العقائدية في إطار عملها السياسي، وهو منهج سائد عند جماعة الإخوان المسلمين، منذ أن وضع أبو الأعلى المودودي نظرية الحاكمية التي قامت عليها الأسس الكبرى لجماعة الإخوان، فجعلت خلافاتها ومواقفها مع الآخرين منطلقة من تطورات ومواقف عقدية حاسمة[15].

كان من أبرز المؤلفات التي أصلت للمنهج الإخواني/ السروري بشكل عام،

---

(14) المصدر نفسه.

(15) انظر: أبو الأعلى المودودي في كتابه الشهير المصطلحات الأربعة في القرآن: الإله- الرب- العبادة- الدين.

وفي تحديد الموقف من الأقليات الدينية بشكل خاص، كتاب «معالم الانطلاقة الكبرى عند أهل السنة والجماعة» لمؤلفه محمد عبدالهادي المصري، وهو ممن أقاموا في السعودية وتتلمذوا على بعض العلماء المقربين من تيار الصحوة الإسلامية، مثل الشيخ عبدالله بن جبرين، والشيخ بكر أبو زيد، وطبعت له مؤسسة المنتدى الإسلامي –مقرها الرئيس في لندن، وتصدر عنها مجلة البيان التي تعد الناطق الرسمي لتوجه ومنهج التيار السروري– مؤلفات عدة في هذا المجال كما قدم لكتابه الشيخ ابن جبرين قائلاً: «لقد قرأت هذه الرسالة فألفيتها رسالة قيمة مفيدة تتضمن بيان مذهب أهل السنة في العقائد، معتمداً في ذلك على النقل من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، التي تبين لنا سبيل مذاهب أهل البدع والضلالات وخطرهم الشديد على أهل السنة، وكيف يؤخذ الحذر منهم»[16]. يعد هذا الكتاب «المزكى» من أبرز المراجع والمصادر المهمة في تشكيل الوعي العقائدي/ الحركي لشباب الصحوة في السعودية، وللمتأثرين بالتيار السروري في الخليج العربي.

يبدأ المؤلف برسم صفات الحركة، وهي من أسماها «أهل السنة والجماعة» كمسمى تراثي فضفاض؛ مفصلاً منهج التلقي عند الجماعة واستنادها على فهم السلف الصالح، مبيناً بعد ذلك ملامح أهل السنة والجماعة وخصائصها السلوكية والاجتماعية، منتقلاً بعد ذلك للمحور المتعلق بالأقليات والمذاهب الدينية، وهو «نظرة أهل السنة والجماعة إلى البدع المخالفة للسنة وإلى أهلها»[17]. وفي هذا الفصل يستعرض المؤلف مجموعة من المذاهب والطوائف «المبتدعة» من أبرزها «الشيعة الرافضة، والمرجئة، والخوارج... والمنافقون والزنادقة»، وما يفترق به الكتاب عن الكتب التقليدية في شروحات العقائد هو تنزيله للموقف العقدي إلى منهج عملي/ حركي على أرض الواقع.

فتحت فصل بعنوان «نظرة إلى الواقع» وضع المؤلف أهم المخاطر التي تهدد الأمة الإسلامية –حسب رأيه– وهي: «الفرق المخالفة للسنة، سواء منها الفرق

(16) محمد، عبدالهادي المصري، معالم الانطلاقة الكبرى عند أهل السنة والجماعة، دار الوطن، الرياض، 1992، ص4.

(17) المصدر نفسه، انظر: الفصلين التاسع، والعاشر.

التقليدية كالخوارج والرافضة والمعتزلة أو ما تفرع منها، فهي بأفكارها وعقائدها الفاسدة تبث سمومها في جسد الأمة المسلمة وتستغل أي ثغرة لكي تنفذ منها وتحتل مواقع جديدة لها على الخريطة الفكرية والجغرافية»[18].

ثم ينتقل المؤلف لبيان خطر أكبر يواجه الحركة، بل قد يكون «من أخطر التحديات -على الإطلاق- التي تواجه أهل السنة والجماعة، وهي تلك اللافتات الزائفة، والمقولات الغامضة، والشعارات الملبسة التي تتخفى وراءها العلمانية الكافرة، -بأفكارها وأفرادها وتجمعاتها- لتبث سمومها في عقول وقلوب أبناء هذه الأمة. فالعلمانية باختصار نظام طاغوتي جاهلي كافر يتنافى ويتعارض تماماً مع شهادة لا إله إلا الله... فهل يبقى بعد هذا مجال للشك أو التردد في الحسم والوضوح في مواجهة العلمانية وفضحها؟»[19].

هذه الصبغة العقائدية الحاسمة في إدارة الحركة لإدارة التيارات الأخرى المختلفة عنها، والتي لا تتردد أبداً في تكفير المخالفين – كما رأينا في التكفير الصريح المباشر للعلمانية ولكل المنتمين لها- أصبحت هى الإطار الأبرز للمكوِّن السروري والإخواني بشكل عام، فانتشرت مؤلفات كثيرة تفحص وتبحث في تاريخ المذاهب والأقليات الدينية، وتسطر حولها الحكم بالتفكير أو التبديع أو التفسيق.

موسوعة الندوة الميسرة: دليلك للحكم على الأقليات

في هذا التصور الذي يمزج ما بين العقائدي والحركي، ويخلط بينهما في إطار واحد، جاء مشروع ضخم يقوم على تتبع الديانات والمذاهب والطوائف، ويشرح جذورها العقائدية والتاريخية وفق المنهج السلفي، حتى يكون ذلك عوناً «للمسلم المعاصر أمام ثورة المعلومات والعلاقات»[20] كما جاء في مقدمتها التي بينت آلية

(18) المصدر نفسه ، ص 199.

(19) المرجع نفسه ، ص 208- 209.

(20) مانع، حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الجزء الأول، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي

عمل الموسوعة، التي تسعى «لبيان المنهج الصحيح حول الأحزاب والتيارات الفكرية والفرق والأديان والفلسفات، مؤكدين في نقطة الانطلاق أنه لا اجتهاد في أصول الإسلام، وهذا هو المعيار الذي يستطيع من خلاله كل قارئ لهذه الموسوعة أن يفرق بين الحق والباطل»[21].

هذا المشروع «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» صادر عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومقرها الرئيس في السعودية. كانت الموسوعة محسوبة في توجهها وفكرها على منهج جماعة الإخوان المسلمين (الأم)، وأشرف عليها وتابعها أمينها العام الراحل مانع الجهني، الذي يعد من أبرز رموز الإخوان المسلمين في السعودية.

قُسمت الموسوعة إلى أقسام عدة، أولها: «الفرق العقائدية والمذاهب الفقهية التي نشأت في كنف الإسلام»، ومنها الصوفية، والشيعة والإباضية، والمعتزلة، والنصيرية، والدروز... إضافة إلى عرض مفصل لأبرز الاتجاهات الفكرية في المجتمعات الإسلامية كالقومية العربية، وحزب الوفد في مصر، وحركة تحرير المرأة، والناصرية، وغيرها.

وعلى الرغم من أن الموسوعة أكدت أنها سوف تلتزم البحث الموضوعي بدون تهجم أو تجريح[22]، فإنها في سياقات كثيرة تحرص على بيان الموقف والحكم من هذه الطائفة أو تلك، ففي حديثها عن (القومية العربية) وصفتها بأنها «حركة سياسية فكرية متعصبة... وأساسها إبعاد الدين الإسلامي عن معترك حياة العرب السياسية والاجتماعية والتربوية، فما هي إلا ردة جاهلية، وضرب من ضروب الغزو الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي، فهي في حقيقتها صدى للدعوات القومية التي ظهرت في أوروبا»[23].

للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1998، ص10.

(21) المرجع نفسه، ص19.

(22) المرجع نفسه، انظر المقدمة، ص 10.

(23) المرجع نفسه، 448-450.

تنتقل الموسوعة بعد ذلك لبيان الفرق والطوائف المتفرعة عن الأديان الأخرى ومنها اليهودية التي انبثقت منها الماسونية والصهيونية والروتاوي، والنصرانية وما تفرع منها من أفكار وفلسفات كالعلمانية والتغريب والحداثة.

تكشف هذه الموسوعة عن آلية التفكير التي تعتمدها الحركة الإسلامية بالخليج في تعاطيها مع الأقليات؛ فكل فئة أو طائفة لها وسم وتعريف وحكم وتاريخ وجذور، وهي باختلافها تعتبر مناوئة أو خطرا يهدد كيان الأمة أو وحدتها، ولذلك يكون التعاطي مع أبناء هذه الطوائف من الأقليات ليس تعاملاً وفق قاعدة الحقوق والواجبات أو وفق قيم المواطنَة والمساواة، بل هو حكم عقائدي يلاحق أبناء هذه الطائفة، ويصمها بأوصاف وأحكام تهدد أمنها ووجودها، باعتبارها خطرا يهدد كيان الأمة.

وبناءً على هذا الإرث الذي يستند إليه أبناء الحركة الإسلامية في تشريح ونبش معتقدات الطوائف الأخرى، وجعل ذلك معياراً للحكم والعلاقة، تكون مخاوف الأقليات من وصول الجماعات الإسلامية إلى سدة السلطة مشروعة ومبررة، لأنها تجد مسمياتها وأحوالها توسم بالكفر والتبديع، والردة أو الجاهلية في مؤلفاتهم وهم خارج السلطة، فكيف إذا كان لهذا الفكر زمام من القرار والتنفيذ، فإن حيز التطبيق سيبدأ، وسوف يتم عزل وإقصاء هذه «السموم» التي تنخر في جسد الأمة –حسب وصفهم.

يؤكد المنطق الحركي أنه لا بد من مواجهة «مسيرة ركب الشيطان»[24]، وهي الطوائف والفرق داخل المجتمعات الإسلامية، كما يسمي ذلك الأكاديمي السعودي ناصر العقل، وعني كثيراً بمسألة الافتراق والمذاهب، «وحراسة العقيدة»[25]، وكشف «الأهواء والفرق والبدع».

ففي كتاب له بعنوان «مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع» يتحدث العقل

(24) انظر: ناصر بن عبدالكريم العقل، مسيرة ركب الشيطان: الأهواء والفرق والبدع في تاريخ الإسلام، دار الوطن، الرياض، 1995.

(25) انظر: ناصر بن عبدالكريم العقل، حراسة العقيدة، دار كنوز، الرياض 2004.

عن الاتجاهات المعاصرة بعد أن بين أصول الفرق والمذاهب الرئيسة القديمة، قائلاً بأن الطوائف الحديثة هي في مجملها «لا تخرج عن أصول الفرق الكبرى، أو تتكون من خليط منها... فأغلب الأسماء التي ظهرت حديثاً تحمل في طياتها أصول الفرق القديمة وأهدافها، فالقومية ترجع إلى الجاهلية الأولى العربية، والحداثة ترجع إلى فرق الباطنية كالقاديانية والبهائية... وبعضها معتزلة وجهمية كالتحريريين... ومنها ما يجمع بين كل الاتجاهات المنحرفة في سبيل الصد عن الإسلام كالحداثة والعلمانية... أما الطرق الصوفية المعاصرة فهي أوعية لكل بدعة واتجاه»[26].

يعني هذا المنهج في النظر إلى الآخر المختلف أن دخول الحركات الإسلامية إلى العملية الديمقراطية التي تقوم على المساواة بين جميع أفراد المجتمع، ويفصل بينهم صندوق الاقتراع، هو أمر غير مكتمل الأركان، لأنها سوف تصف خصومها بأوصاف عقائدية/ دينية، خارج إطار العملية الديمقراطية التي يدور مجال الاختلاف فيها حول السياسيات والرؤية التي يمكن من خلالها تنمية البلاد وإعمارها، وليس من خلال التفرقة الدينية بين المواطنين، ذلك التمييز الذي نصت مواثيق حقوق الإنسان على إدانته وتجريمه باعتباره أحد أكبر الخروقات التي تنافي حقوق الإنسان المكفولة له حرية الاعتقاد والعبادة[27].

وبما أن قضية الحكم والسلطة تشكل محوراً أساسياً في الأعمال والمؤلفات والشروح التي ألفها سيّد قطب، وأبو الأعلى المودودي، وحسن البنّا، وراشد الغنوشي، وعصام العطار، وحسن الترابي وغيرهم من منظري «الإخوان المسلمين» تتجلى بقوة دعواتهم الملحة والصريحة لضرورات إسقاط الحكومات العلمانية وغير الدينية، التي «لا تحكم بشرع الله»، فهم بالإجمال يرفضون التعددية السياسية، فضلاً عن التعددية الدينية والفكرية، فهذه المؤلفات والخطابات التي سبق ذكرها، والتي تستند في مجملها وإطار نظرتها الحركية إلى مفاهيم الإخوان المسلمين ومنظريهم كسيد

(26) ناصر، بن عبدالكريم العقل، مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، دار الوطن، الرياض، 1994، ص 109.

(27) انظر: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر عن هيئة الأمم المتحدة عام 1948، «لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين».

قطب وأبي أعلى المودودي، تؤكد صراحة وبصورة لا تقبل اللبس والتأويل، ضرورة إسقاط الحكومات العلمانية، أو غير الدينية، وعدم التساهل مع التعددية السياسية. ويعدون هذا الموقف الأحادي المتشدد واجباً دينياً غير قابل للمفاوضة أو المساومة، لأنه -تبعاً لتفسيراتهم- يتعلق مباشرة بموضوع (حاكمية الله) و(جاهلية العالم)[28].

يعلق الباحث السوري خلف الجراد في مقال له بعنوان «هل يؤمن الإسلام السياسي بالديمقراطية والتعددية» قائلاً: «الواقع أن المفاهيم المرتبطة بالديمقراطية والدولة الوطنية الحديثة، مثل: الشعب، والوطن، ليست ذات أوَّلية معادلة للمفهوم المحوري (الأمة)، الذي يتمركز حوله فكر الإسلام السياسي بمختلف مسمياته وحركاته وأحزابه وتجمعاته. إذ تتفق آراؤهم كافة على محورية (الحاكمية)، المتمثلة -وفق تصوراتهم- بالدولة الدينية الإسلامية، مما يتطلب استبعاد أو تعديل العناصر الفكرية والسياسية المكوِّنة لمفهوم الديمقراطية الحديثة. وفي هذا السياق أظهر فكر الإسلام السياسي المعاصر عجزاً كبيراً في محاولة التوفيق بين وجود نسق أو بنية إسلامية يُعبرَّ عنها بـ(الحل الإسلامي الشامل)، وبين التأثر والاقتباس من الأنساق أو البنى المفاهيمية والسياسية الأخرى. ويظهر هنا قدر هائل من الاضطراب الفكري والتشويش حتى بين دعاته المحسوبين على (الانفتاح) و(الاعتدال)، والذين يحاولون التوفيق بين المتناقضات، ودغدغة مشاعر الغرب الليبرالي والتيارات السياسية القلقة من الإسلام السياسي، وتوجهاته الإقصائية في المنطقة العربية. يوسف القرضاوي المنظِّر الإخواني المعروف، لا يستطيع أن (يهضم) أو يتقبل فكرة الدولة غير الدينية بأي صورة من الصور، إذ يقول: «لا يستحق حمل شرف الانتساب إلى الإسلام، مالم يكن مصدره الإسلام الخالص، لا الماركسية ولا المادية، ولا الديمقراطية ولا الرأسمالية، ولا الليبرالية وغيرها من مذاهب البشر وفلسفات البشر أياً كانوا. الحل الإسلامي إذن هو الذي يطوِّع كل الأوضاع، وكل الأنظمة لأحكام الإسلام، وليس هو الذي يطوِّع أحكام الإسلام لأوضاعه وأنظمته. فالإسلام يعلو، ولا يعلى، يقود ولا

(28) خلف، الجراد، هل يؤمن الإسلام السياسي بالديمقراطية والتعددية؟!، جريدة النور السورية، العدد 576، أبريل (نيسان) 2013.

يقاد، ويوجه ولا يتوجه، لأنه كلمة الله، وكلمة الله هي العليا»[29].

الموقف من الأقليات بين العقائدي والسياسي (حزب الله أنموذجا)

بعد هذا العرض لطبيعة موقف الإخوان –بشكل عام– وفي الخليج –بشكل خاص– من الأقليات والطوائف المذهبية الدينية داخل الدول الإسلامية، يمكن أن نتلمس بشكل تطبيقي طبيعة هذا الاضطراب والخلط بين الحركيين أنفسهم في موقفهم من الأقلية –أياً كانت– بين المنظور العقائدي أو السياسي، وأيهما تكون له الأولوية في تحديد الموقف، وطبيعة التعامل.

ولعل المسألة الشيعية كانت الواجهة الأبرز لإيضاح جوانب هذا الموقف، نظراً لطبيعة الشد والجذب في الموقف الطائفي بين السنة والشيعة، فيعلو الجدل حوله حينا بشدة، ويخبو في أحيان أخرى.

كان «حزب الله»، الذي يرفع شعار المقاومة في جنوب لبنان –وبالأخص في فترة شعبية الحزب في العالم الإسلامي العام 2006– من أكثر مناطق القلق والجدل والاضطراب، باعتباره جمع في ذاته موقفين متباينين، فهو بالنسبة لحركة الإخوان المسلمين في الخليج «جماعة شيعية»، تعتبر مخالفة لمنهج أهل السنة في الأصول، والموقف منها مقرر بوضوح كما هو محدد ومفصل في بيان حكم المذهب «الرافضي» والموقف منه، لكن حزب الله في الوقت ذاته يقاوم عدواً مشتركاً هو إسرائيل! فكيف رسم الإسلاميون في الخليج موقفهم منه، وأيهما كان الأولى، الموقف العقائدي من المذهب الشيعي، بغض النظر عن مقاومة الحزب لإسرائيل، أم يمكن التقارب معه ودعمه وتأجيل الموقف العقائدي في مقابل توحيد الصف في مواجهة العدو المشترك؟

هذه تساؤلات حملتها سجالات وحوارات بين السروريين والإخوان في السعودية

(29) يوسف، القرضاوي، الحل الإسلامي... فريضة وضرورة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ص95. وانظر: جريدة النور، عدد 576، خلف الجراد.

والخليج في بيان الموقف من حزب الله ومقاومته إسرائيل، والتي بدورها تفسر لنا طبيعة موقف الإخوان المسلمين في الخليج من الأقليات والطوائف الدينية.

بطبيعة الحال، لم يكن موقف الإسلاميين السعوديين من حزب الله واحداً، بل كان الجدل حوله من أكثر نقاط الافتراق التي أعادت فرز مشهد الاصطفاف الإسلامي الحركي السعودي، وتلوين مكوِّناته من جديد، فمنذ الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) ومعالم الصحوة التقليدية بدأت تتغير شيئاً فشيئاً إلى أن جاءت «حادثة حزب الله» وحسمت الفروقات والتمايزات.

كان التيار السلفي باتجاهاته التقليدية، والعلمية، والحركية، يقف موقفاً عقائدياً مبكراً من حزب الله، وإيران، ويرتكز إلى تراث تاريخي طويل يؤسس لعدم الثقة بالطائفة الشيعية ويرفض مشروعاتها جملة وتفصيلاً، حتى لو كانت من أجل مقاومة «العدو»، ولذلك جاء الموقف مباشراً حاسماً بلا تردد بعد عملية حزب الله الشهيرة في العام 2006[30]، وحصل بعدها الاضطراب واللبس، بين المواقف المتعاطفة مع الحزب، وتلك الرافضة له ولكل مشروعاته أياً كانت باعتباره «حزباً رافضياً شيعياً»، فتمت إعادة نشر الفتوى الشهيرة للشيخ السلفي عبدالله بن جبرين التي صدرت في الأصل العام 2002، وقال فيها بأنه «لا يجوز نصرة هذا الحزب (الرافضي)، ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين، ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرؤوا منهم وأن يخذلوا من ينضموا إليهم، وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين»[31].

لحقه بعد ذلك ناصر العمر -أحد رموز السروريين في السعودية- حيث تحدث عبر موقعه (المسلم) في يوليو (تموز) العام 2006 عن حزب الله، الذي يسميه «حزب

(30) قام حزب الله في الثاني عشر من يوليو (تموز) 2006 باختطاف جنديين إسرائيليين من أجل مقايضتهما بأسراء اللبنانيين، الأمر الذي أدى إلى نشوب ما عرف بـ«حرب تموز» أو «الحرب الإسرائيلية على لبنان 2006» والتي قصفت فيها مناطق عدة من لبنان على مدى 34 يوماً.

(31) الفتوى منشورة في الموقع الرسمي للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين:
http://www.ibn-jebreen.com/fatwa/vmasal-4174-.html

اللات/ حزب الشيطان»، قائلاً عنه: «لا يقاوم باسم أهل السنة في فلسطين، بل هو أداة بيد الحرس الثوري الإيراني»، وصرح عبر قناة «الجزيرة» حينها قائلاً: «إن إسرائيل، وأميركا، وإيران هم أعداء الأمة الإسلامية على السواء»[32].

اكتسح الموقف السلفي المبكر من حزب الله المشهد. تداولت قنوات ووسائل إعلامية كثيرة فتوى الشيخ ابن جبرين، وصدرت بيانات ومواقف كثيرة من اتحادات إسلامية، للرد على الفتوى ورفضها. نشر موقع قناة «الجزيرة» الفضائية خبراً في 30 يوليو(تموز) العام 2006 عنوانه «دعاة مسلمون يرفضون فتاوى سعودية ضد حزب الله»، جاء في مطلعه: «تواصلت ردود الأفعال الإسلامية الرافضة لفتاوى بعض علماء السعودية التي تدعو إلى عدم جواز نصرة حزب الله بمواجهة الاعتداءات الإسرائيلية الأخيرة ضد لبنان، على اعتبار أنه حزب شيعي يخوض حرباً لمصلحة إيران... وتأتي ردود الأفعال هذه بعد أيام من إصدار الشيخ السعودي عبدالله بن جبرين فتوى فحواها تحريم تأييد حزب الله في حربه مع إسرائيل»[33].

كان نتيجة لذلك أن أصدر الشيخ ابن جبرين بياناً توضيحياً حول فتواه المتداولة، ووصف الأحداث الجارية في لبنان بـ«الفتنة الشيطانية»، واعتبر البعض ذلك الموقف تراجعاً، والبعض الآخر اعتبره تأكيداً إضافياً لموقفه السابق.

ففي الأول من شهر أغسطس (آب) العام 2006 نشر موقع الشيخ ابن جبرين فتوى، جاء سؤالها كالتالي: «نشر أحد مواقع الإنترنت فتوى منسوبة إليكم تتعلق بحزب الله اللبناني، فهل تصح نسبة هذه الفتوى لكم؟»[34].

أكد ابن جبرين في إجابته عن هذا السؤال أن هذه «الفتوى قديمة صدرت في تاريخ 7 / 2 / 1423 هـ». وأضاف: «هي لا تتعلق بما يسمى حزب الله فقط، فنحن نقول: إن حزب الله هم المفلحون... أما هؤلاء فهم ليسوا من حزب الله، وذلك لأنهم

(32) نقلاً عن موقع مفكرة الإسلام، يوليو (تموز) 2006.

(33) موقع الجزيرة نت، دعاة مسلمون يرفضون فتاوى سعودية ضد حزب الله، يوليو (تموز) 2006.

(34) الموقع الرسمي للشيخ عبدالله بن جبرين على الإنترنت.

يكفرون أهل السنة، ويكفرون الصحابة... لكن إذا وجد حزب لله تعالى ينصرون الله وينصرون الإسلام في لبنان أو غيرها من البلاد الإسلامية، فإننا نحبهم ونشجعهم وندعو لهم بالثبات، وحيث إن الموضوع الآن موضوع فتنة وحرب بين اليهود وبين من يسمون حزب الله، واكتوى بنارها المستضعفون ممن لا حول لهم ولا قوة، فنقول لا شك أن هذه الفتنة التي قام بها اليهود وحاربوا المسلمين في فلسطين وحاربوا أهل لبنان فتنة شيطانية».

في السياق نفسه كان هناك منتدى إلكتروني شهير في السعودية حينها وهو «الساحات العربية» تدور فيه رحى سجالات طويلة حول «الموقف من حزب الله»، و«هل يصح الوقوف معه في معركته ضد اليهود؟»، أم إن «حزب الله وإسرائيل في العداوة سواء؟»، توحدت صفوف الشباب السلفي بأطيافه كافة في موقف واحد رافض معاد لحزب الله أو الوقوف معه أو تأييده، ويعود ذلك لمنطلقات عقائدية تنطلق من الموقف من المذهب الشيعي، وموقف سياسي من ولاء الحزب لإيران.

إذا رجعنا إلى الكتابات المؤسسة للفكر الإخواني السروري، على وجه التحديد، نجد أن المسألة كانت محسومة بشكل مبكر، ففي كتاب «أمل والمخيمات الفلسطينية» الصادر عام 1986، ضمن الإصدار الثاني من سلسلة «وجاء دور المجوس» من تأليف عبدالله محمد الغريب، وهو كان اسما مستعارا لمحمد سرور زين العابدين، من تنسب إليه السلفية الحركية السرورية، قال فيه: «ولد هذا الحزب من رحم حركة أمل الشيعية اللبنانية المدعومة من إيران. قد تسمى بدايةً باسم أمّه (حركة أمل الشيعية) فتسمّى بـ«أمل الإسلامية» رغبةً في توسيع نطاقه ليشمل الأمّة الإسلامية، ونظرا لما اقترنت به (حركة أمل الشيعية) من أعمال وحشية وجرائم بشعة لا تخوّل وليدها «أمل الإسلامية»، تسلم مهام الدفاع عن الأمة، وخشيةً من هذا فقد كُوّن حزبٌ جديد، وهو ما يُعرف اليوم بـ(حزب الله)»[35].

يضيف عبدالله الغريب أو محمد سرور مؤكداً: «ويبدو أن حزب الله أُعِدَ ليكون

(35) عبدالله، محمد الغريب، أمل والمخيمات الفلسطينية، عام 1986، ص181.

فخًا لأهل السنة من اللبنانيين والفلسطينيين، فظاهره جهاد أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وحقيقته احتواء من قد يُخدعون بشعارات الرافضة»[36].

لذلك جاءت مواقف ناصر العمر، وسفر الحوالي -الذي أفتى أيضاً «بحرمة الدعاء لحزب الله بالنصر أو تقديم أي نوع من الدعم له في حربه مع إسرائيل»- امتداداً لهذه المواقف التقليدية الصحوية من حزب الله، أو من المشروعات الشيعية على العموم.

لكن في الضفة الصحوية الأخرى كانت هناك معالم موقف معارض تتشكل، صمتت في بداية الأمر، حيث وجدت نفسها في موقف حرج بين طرفين: المكوِّن السلفي الذي تنطلق منه، والعاطفة الإسلامية السائدة في العالم العربي التي كانت تتضامن بقوة مع حزب الله وحربه ضد إسرائيل.

يشير إلى ذلك الصحفي السعودي فارس بن حزام في مقال له بصحيفة «الحياة» قائلاً: إن الجدل الدائر في السعودية طوال حرب لبنان حول حزب الله قد «كشف القناع للمرة الأولى عن خلاف حاد بين تيارين إسلاميين في الوسط السعودي من جراء الموقف من حزب الله... فالجدال هذه المرة لم يكن بين ما يعرف بـ«السرورية» وهي «السلفية» المتمثلة في «الصحوة» من جانب، وتيار «الإخوان المسلمين» من جهة أخرى، مثل سجالات طويلة ومعارك صغيرة وكبيرة معتادة. الجدال هذه المرة جاء بين «الصحوة» و«الصحوة»، فبرز أكثر وأكثر تيار «الصحوة الجديدة» عن «الصحوة التقليدية»، ولكل رموزها ونجومها. والخلاف في حقيقته ليس مرتبطاً بالموقف من حزب الله، ولكنه متعمق في الفكر السياسي والثقافي بين الفريقين، فوجد الفرصة ليتجلى في هذه الحرب»[37].

كان هذا الموقف الآخر الجديد يجمع بين طياته شخصيات سرورية سابقة، وأخرى محسوبة على فكر جماعة الإخوان المسلمين، حاولت أن توفق بين تراثها، وبين

(36) المرجع نفسه، ص 182.

(37) فارس بن حزام، صحيفة الحياة، 25 أغسطس (آب) 2006، العدد 15848.

اتجاه جماعة الإخوان الداعم بقوة لحزب الله، فتوصلت إلى موقف يقول في مجمله: «إننا نختلف اختلافات عميقة مع حزب الله، ولكن هذا ليس وقتاً لإثارة الخلافات الطائفية، والمحاسبة العقائدية، وإنما يجب علينا أن نقف صفاً واحداً مع إخواننا المسلمين من أهل القبلة/ الشيعة ضد العدو المشترك إسرائيل».

عبر عن هذا الموقف بوضوح الشيخ سلمان العودة -الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين- في حلقة من برنامجه الأسبوعي «الحياة كلمة» على قناة «MBC» بتاريخ 21 يوليو (تموز) 2006 حين سأله أحد المتصلين عن رأيه في موقف السعودية الرسمي من عملية حزب الله، فأجاب بأنه لم يطلع عليه -على الرغم من أنه كان حديث الناس- ولكنه أضاف موضحاً: «إننا نختلف مع حزب الله، وهو خلاف جوهري وعميق كما هو خلافنا مع الشيعة الذي لا يمكن أن يلغى، لكن هذا الوقت ليس وقت الخلاف والشقاق، فعدونا الأكبر هم اليهود والصهاينة المجرمون الذين لم يفرقوا في عدوانهم حتى بين الأطفال والمحاربين»[38].

وتحت عنوان «الموقف من حزب الله» أجاب عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة الدكتور علي بادحدح -أحد الإسلاميين المحسوبين على فكر الإخوان في السعودية- عن سؤال وجه له بهذا الخصوص مطلع أغسطس (آب) العام 2006، حيث قال: «إن إلحاق الضرر بالعدو الصهيوني، وكل أذى ونكاية في هذا العدو مطلوب ومرغوب. فالوقت الحالي ليس وقتاً مناسباً للمحاسبات المذهبية أو الطائفية، بل هو وقت ينبغي فيه التركيز على العدو الأكبر الذي يهلك الحرث والنسل ويهدد البلاد والعباد»[39].

وفي تحقيق نشره موقع «العربية نت» في الثامن من أغسطس (آب) من العام نفسه حول تداعيات حرب لبنان، والجدل حول حزب الله، صرح الدكتور عوض القرني -أحد رموز الإسلاميين المحسوبين على فكر الإخوان في السعودية- قائلاً:

---

(38) موقع الإسلام اليوم على الإنترنت، المشرف العام: سلمان العودة.

(39) انظر كتاب: حزب الله بين الحقيقة والأهداف، تحرير: علاء الدين آل رشي، ومشاركة مجموعة من الشخصيات، مركز الراية للتنمية الفكرية، دمشق، 2006، ص120.

«إننا قد نختلف مع حزب الله أو مع غيره، ولكن خلافنا معه لا يسوغ لنا ألا نقف معه في دفاعه عن الأمة ودفع الظلم والعدوان عن الشعب اللبناني كله وليس عن الحزب فقط، ولو كان الظلم والعدوان الذي يقع على الشعب اللبناني يقع على هندوسي أو بوذي لوجب علينا أن ندفعه عنهم ولا نرضاه»[40].

أما الدكتور حاكم المطيري –أحد رموز السلفية الحركية في الكويت– فقد أصدر بياناً صريحاً في الثامن من أغسطس (آب) عنوانه «بيان في وجوب نصرة المقاومة في لبنان» قال فيه: «يظهر من عموم نصوص الشريعة وقواعدها ومقاصدها وجوب دعم المقاومة في جنوب لبنان بكل ما تستطيع الأمة تقديمه من دعم، بالمال والنفس والكلمة، وهو نوع من أنواع الجهاد، والقتلى فيها من المسلمين شهداء على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، لهم أحكام الشهداء الدنيوية من حيث إنهم لا يغسلون ولا يصلى عليهم ويدفنون في ثيابهم». وأضاف مؤكداً: «إن السياسة الشرعية تقضي الوقوف مع المقاومة اللبنانية مهما كان الموقف منها ومن قياداتها –في نظر البعض– إذ القتال الدائر بينها وبين إسرائيل لا يدع مجالا للتوقف أو الحياد»[41].

كما أصدر في الأمر ذاته حزب الأمة الكويتي (محظور) بياناً في 13 يوليو (تموز) يدعو فيه إلى دعم المقاومة اللبنانية لمواجهة الاعتداءات الصهيونية المتكررة على الشعب اللبناني وانتهاك دائم لسيادته على أراضيه[42].

أما الدكتور السعودي محسن العواجي –أحد الإسلاميين المستقلين– فخرج عن صمته بعد 13 يوماً من المعارك الدائرة في لبنان بين حزب الله وإسرائيل، فأعلن تأييده لحزب الله وزعيمه حسن نصر الله عبر موقعه الشخصي في 24 يوليو (تموز) العام 2006 بمقال عنوانه «اللهم انصر المقاومين الأبطال واشدد وطأتك على المعتدين الأنذال»[43]، قال فيه: إنه من السذاجة النظر إلى حزب الله في هذه الأزمة

---

(40) انظر: موقع العربية نت.

(41) انظر الموقع الرسمي لحاكم المطيري على شبكة الإنترنت، على الرابط التالي: http://www.dr-hakem.com/

(42) نقلاً عن موقع حزب الأمة الكويتي، على الرابط التالي: http://www.ommahparty.com/

(43) منشور في موقعه الرسمي على شبكة الإنترنت، على الرابط التالي:

تحديداً نظرة طائفية مجردة خاصة، موضحاً أن «العدوان الصهيوأميركي الأخير على لبنان كشف عمق المآسي الفكرية المحتقنة في المجتمع المسلم محلياً وإقليمياً. قد يقبل من البعض تأجيل اتخاذ الموقف كون الأمر في غاية التعقيد واللبس، ولكن لا قبول البتة للحياد التام أو الصمت المطلق تجاه ما يجري من عدوان صارخ على الحرمات والممتلكات»[44].

ووصف محسن العواجي في مقاله المذكور حسن نصر الله، زعيم حزب الله بـ«الداهية سياسيا والشجاع ميدانياً مهما اختلفنا معه»، مؤكداً أن «حزب الله في لبنان اليوم في عين الشارع الإسلامي شكل رأس حربة فعالة تتخن العدو وتقاوم زحفه ببسالة»[45].

وفي رد على الرأي الشائع بين التيار السلفي، بأن حزب الله ومقاومته ليسا سوى مجرد «تمثيلية»، بينما حزب الله وإيران هما مجرد خادم وحام لمصالح إسرائيل، صرح الشيخ حاتم الشريف العوني -أستاذ السنة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة- لموقع (الإسلام اليوم) في 3 أغسطس(آب) العام 2006 قائلاً: «الواقع يرفض مثل هذه الأقوال، فالمقاومة اللبنانية ليست تمثيلية»، موضحاً أن هذه الأقوال التي تشيع في السعودية لن يتقبلها الناس في الخارج «فلا ينبغي أن نُسقط أنفسنا أمام العالم الإسلامي بهذا الطرح المعارض للمشاهد أمامهم، فلنصمت إذا لم ندعم المقاومة اللبنانية»[46]. وأضاف: «إن قضية حزب الله عادلة ويكفي أنهم أمام إجرام اليهود أعدى أعدائنا، فهم يستحقون الوقوف معهم في هذا الظرف خاصة، وعلينا أن نؤجل خلافاتنا معهم إلى أن ننتهي من هذا الظرف لنبدأ بحوارهم ودعوتهم لإقامة الحجة عليهم»[47].

---

http://mohsenalawajy.com/ar/index.php/53-08-05-06-12-2009-29/43-54-19-04-12-2009

(44) الموقع نفسه.

(45) الموقع نفسه.

(46) حاتم العوني: المقاومة اللبنانية ليست تمثيلية، موقع الإسلام اليوم، على الرابط التالي:
http://islamtoday.net/nawafeth/services/saveart73071-12-.htm

(47) المصدر نفسه.

ومن أجل التأصيل والحشد للموقف الإسلامي الخليجي المتضامن مع حزب الله، أو «المتسامح» معه على الأقل صدر في سبتمبر (أيلول) العام 2006 كتاب بعنوان «حزب الله.. بين الحقيقة والأهداف» عن «مركز الراية للتنمية الفكرية بجدة» جمع آراء ومواقف الإسلاميين في السعودية والخليج والعالم العربي، وفي مقدمتهم يوسف القرضاوي، إضافة إلى عدد من أبرز الشخصيات الإسلامية في السعودية المحسوبة على فكر الإخوان المسلمين، مثل عوض القرني، علي بادحدح، وموسى الشريف. ومن خلال تصفح الكتاب يتضح أنه تجميع سريع لمقالات، وحوارات وتقارير صحافية نشرت في الإنترنت حول هذه القضية. تحدث في مطلع الكتاب علي حمزة العمري -واحد من الناشطين الشباب المحسوبين على فكر الإخوان المسلمين، في السعودية، رئيس منظمة فور شباب- بمداخلة عنوانها (لبنان في العين والقلب وعلى الرأس)، قال فيها: «خلاصة الموقف الحالي وجوب التلاحم والتناصر والتعاضد أمام العدوان اليهودي والأميركي في لبنان، فالمعركة حقيقية، وهي معركة صراع وتصفية للشيعة ولأهل السنة سواء، لأنهم الآن في خندق واحد، ومقاومة واحدة»[48].

في ختام مداخلته وجه كلامه إلى من سماهم «تلاميذ المقاومة المسلمين» قائلاً: «لا نريد اعتذاراً، نريد أن ترفعوا السلاح، نريد أن تهزوا أركان المجرم اليهودي، أسمعوه دوي القنابل والرصاص، أروه اللون الأحمر القاني، ادفعوا بأبنائكم إلى ساحات الوغى، لن نرضى منكم إلا صوت الحرية»[49].

وفي حموة تلك النقاشات الساخنة حول المقاومة اللبنانية وحزب الله، والتناقل العالمي لفتوى الشيخ ابن جبرين، وناصر العمر ضد حزب الله، ألقى محمد الأحمري بحجر مياه بركة رفاقه «السروريين» القدامى، معلناً انحيازه بوضوح للضفة الأخرى التي كانت تضم مجموعة من الإسلاميين المستقلين، وشخصيات محسوبة على فكر الإخوان المسلمين، فكتب مقالاً يشاع كثيراً أن المقصود به كان ابن جبرين، وناصر العمر، جاء المقال بعنوان «خدعة التحليل العقائدي»، نشره في موقعه الذي يشرف

(48) حزب الله بين الحقيقة والأهداف، ص 99.

(49) المرجع نفسه، ص 99.

عليه «مجلة العصر» في 4 أغسطس(آب) العام 2006 يتهجم فيه على «العقلية السلفية» التي تتعاطى مع الأحداث السياسية بمنطلقات عقائدية، فهي تعاني «من القصور، والتعصب وقصر النظر... لأن المحلل العقدي يؤمن بأنه على الحق دائماً، وأن النصوص معه تؤيده وتحفزه وتحدد أطراف المعركة بدءاً بالتوراة والإنجيل ثم القرآن إلى نصوص ماركس. ويعاني من استسلام غير واعٍ للنصوص وللأفكار التي يسيء فهمها»[50].

أثار مقال الأحمري الكثير من الردود والجدل والخلاف، وانبرى موقع «المسلم» الذي يشرف عليه ناصر العمر للرد على الأحمري، ونشرت مقالات متعددة منها «خدعة التحليل السياسي» لبندر الشويقي، ومقال بعنوان «وقفة مع الدكتور محمد الأحمري» لإبراهيم الأزرق وغيرهما، لكن الأحمري استمر مؤكداً موقفه فنشر مقالا في منتصف يناير (كانون الثاني) 2007 بعنوان «من حصاد التحليل العقائدي» قال فيه: «لمن اختلفوا معه بلغة لا تخلو من التهكم: «للنظر السياسي يا إخواننا تقسيمات أخر، بعضها من بضاعتكم وبعضها تقع خارج ثقافتكم»[51].

الجدير بالذكر أن كثيراً من المواقف التي تضامنت وتعاطفت مع حزب الله من الإسلاميين في الخليج، انقلبت رأساً على عقب بعد أحداث «الثورة» السورية، فتحول التضامن مع حزب الله العام 2006، إلى عداوة تامة ومهاجمة صريحة للحزب بعد دخوله مقاتلاً إلى جانب قوات النظام السوري ضد قوات الثورة في سوريا، ونتيجة لذلك قال يوسف القرضاوي في تصريحه الشهير: «مشايخ السعودية الكبار كانوا أنضج مني لأنهم عرفوا حزب الله على حقيقته»[52].

(50) محمد، حامد الأحمري، مجلة العصر، أغسطس (آب) 2006.

(51) المرجع نفسه.

(52) صحيفة الشرق الأوسط، 7 يونيو (حزيران) 2013، العدد 12610.